

قلت قبل اسطر اننا كنا نفتقد الادب القومي المتمرد ، الى سنوات خلت ، او بالاحرى ، كنا نجد قليلا عدد الابداء الذين يخططون الهبة القومية ، ويرسمون طريق الانطلاق في وعي المجتمع السادر . هذا اذا تواضعنا على ان الادب قصة وشعور فحسب ، اما اذا اخذنا بالمعنى الشمولي للادب ، وعرفناه بأنه حصاد الفكر الحر الخلاق ، فالامر يختلف تماما ، وزاوية الرؤية تتبدل .

نحن لا نشك اقل الشك في ان الانتفاضات التي حركت اجواءنا الرائدة ، والوثبات التي خرجنا بها عن السكون المتبدل ، والانتصارات التي توجت هامنا ، كانت كلها من صنع المفكرين . مجتهدنا الدنف ، من كشف عن علله ، ووصف له سبيل العافية ؟ وتراث العرب المشترك ، المتضخم عبر الزمان ، من الذي للمه ووصله خيوطه ونقله الى عقول الناشئين ؟

والوحدة العربية من الذي عرف بمآثراتها الماضية ، ووضع الاصحح على مآسي انفصامها الحاضر ، واهاب بنبش امجادها وبعث تكاملها وتكافؤها؟ ومن عجن خميرة الوجدان الجماعي للانفصام من الاستعمار السارق؟ كل ذلك اضطلع به اساتذة الجيل ومؤلفو الكتب المدرسية وغير المدرسية في التاريخ والجغرافيا والفلسفة والاخلاق والاداب وعلم الاجتماع والاصلاح الاجتماعي .. وهؤلاء كلهم ابداع بالمفهوم الاوسع للادب .

استدل صديقنا الدكتور مندور على فعل الادب في التمهيد للثورات بروايتي (بومارشيه) : حلاق اشبيلية وزواج فيغارو . وميزة هذين الاثرين المخلدتين انهما وضعا المجتمع والحكومة في فرانس فيبيل الشورة موضع الهزة بأسلوب غير مباشر . واطن ان ادينا الكواكبي، الذي مجدنا ذكراه في الشهر الماضي ، لم يكن اقل فعلا في نفوس معاصرين بكتايبه (ام القرى) و (طبائع الاستبداد) ، رغم انه التزم اسلوب الجد الصارم فيما كتب .

والذي اريد ان اخلص اليه هو الوطن العربي كانت له ايضا قيادة فكرية مخلصه ، ايقظت وعي ابنائه ونسجت بنية تفكيرهم وشقت لهم الاقنية الموصلة الى التمهض الحاضر .

واني في هذا التأكيد اتمركز في قطب معاكس للقطب الذي وقف عنده الاستاذ علي بدور حين كتب في مقاله (المثقفون والمجتمع العربي) : « اما القيادة الفكرية فقد كانت بعيدة عن تفهم روح الشعب وتاريخه المجيد وثقافته القومية ، لانها نهلت الكثير من مبادئ الثقافات الاجنبية. » وليس من يخالف الاستاذ بدور حين يقرر ان « القيادة السياسية للمجتمع العربي كانت بعيدة عن الشعور بالانتماء الشورية التي بدأت تعيشها الامة العربية » . ولعل هذا النقد لا يزال صحيحا بالنسبة الى اكثر حكومات العرب القائمة اليوم . ونحن معه ايضا في التأكيد على البلبلة التي تملكنت الكثير من قادة

بقلم الدكتور عزة النص

العدد الثائر

لولا واحة نزار القباني لكان العدد الممتاز من « الاداب » لهبها في لهب .. يتواكب فيه الادب الثائر مع الحديث عن الادب الثائر ، ولا يكاد القاريء يجوز كومة نار ، وهو يتحسس اضلاعه ، حتى تقتحمه كومة نار اخرى ، تظفي فيها التضحيات والمروءات ، واحسب ان هذا القاريء كان يود لو ان المغارة كلها كانت جهرا وضراما .. ، فلا مكان ل(قديسة) نزار في ذلك الجحيم البطولي ، الا اذا اعتبرنا من الادب الثوري ثورة الجنس لدى الفحل المكتمل على (قديسة) منابية .. تجردت على خطوات منه وحسرت عن قباب الياسمين ، ثم استرخت على سريرها الزاهي ، تنلهي بلغافة لوكي سترايك..

ولي عودة الى (البتول) المولعة بالتدخين.. وقيل ذلك لا بد لي من التأكيد بان الادب القومي في زادنا العربي قد ولد ، الادب الفاضل المتحرك الذي يخفق مع رايات النصر ويسير مع الزحف في المقدمة . وعدد (الاداب) في مستهل عامها الثامن هو شهادة ميلاد .

كان لنا حقا ابداع نوار في نصف القرن الماضي ، ولكنهم لم يخلقوا مدرسة ، ولم يطعموا اداب عصرهم بطابعهم المميز ، وهم ، بعد ، نفر قليل اذا قيسوا بجيش الابداء والمتأدبين الذين كانوا يعيشون ليالي (موسى) ويتفنون بحجرة (لامارتين) ويتعذبون مع (غوته) لالام فيتر ، او ينظمون في الزهر والنهر وعيون لها وغصن البان ... بينما كانت مدن العرب تطوى بنيران المستعمرين ، وامة العرب ترسف في اغلال الدخلاء .

الادب القومي الذي انتزع الغلبة في محصول الادب العربي الجديد يتمثل في ابواب عدد (الاداب) التي سنعرض لها الان .

الثورة والفكر

يعتقد الدكتور سهيل ان (الثورية) ستكون السمة الرئيسية لانتاجنا الادبي الحديث ، وانا اطمئن بان « الثورية » هي سمة انتاجنا الادبي الحديث ، بالفعل لا بالقوة ..

والقول بان الادب لا يزال يتبع الاحداث ولا يسبقها ، ويتأثر بها ثم يؤثر في مسيرها ، لعل فيه بعض الافتئات .. وليذكر الدكتور سهيل ما نشر في (الاداب) بالذات عن ثورة (1 تموز في العراق قبل ان ينهض بها جيش العراق ! وليذكر كل ما ينشر اليوم - وفي مجلة «الاداب» ايضا - عن ثورة العراق الآتية ، التي يعبئ لها ابداع العروبة ويمهدون الدروب ويلمون العزائم .

وقد تولى الدكتور مندور ، في هذا العدد من الاداب ، الاستشهاد ببعض من استشاروا ثورة مصر ، وفتحوا اعين الضباط الاحرار ، وشدوا اناملهم على ازناد البنادق ، وجاءت بامثلة اخرى الاستاذة ملك عبيد العزيز في مقالها (الشعر الثوري في الادب المعاصر) .

الفكر العربي ، والحيرة التي ضللت بعضهم حينما ما في متاهات مسدودة . ولا نستطيع الايمان بان الامر قد تبدل بالفكر الذي نرجو حتى الان ..

ولكن تلك القيادة الفكرية ، في جملة مناحيها واتجاهاتها ، كان لها في النتيجة عمل مفيد . والا كيف حدثت الانتفاضة الثورية التي تحدث عنها كاتب المقال ؟ هل الانتفاضة كانت سابقة للتفكير في الانتفاضة ؟! واما النهل من الثقافات الاجنبية ، فالحكم له او عليه امر يسير . ان الاستاذ بدور مدعو الى الموازنة بين الدول العربية المتخلفة في مجالات التطور الاجتماعي والوعي السياسي وبين شقيقاتها التي سارت خطوات ارحب نحو العدل الاجتماعي والحكم السوي . لعله بعد هذه الموازنة يجزم معنا بان النهل واعمل من الثقافات الاجنبية كانا الوفود الدافع في انطلق العربي الجديد . نظفت تلك الثقافات العقول المتكلسة ، وفتحت الاعين المغمضة ، وحفزت على النهوض العربي بتأثير المقارنة والاقتباس والتطعيم والافادة من تجارب الامم جميعها . وبالمزيد ممن الفوص في طلب الحقيقة يجد الاستاذ بدور ان « الانتفاضة الثورية التي بدأت تعيشها الامة العربية » صنعها ايضا مواقف الذين زدودا الحصون الراسخة بسلاح الثقافة الاجنبية .

معنى الثورة

والمرام بين الثورية والرجمية ، بين التقدميين والمحافظين ، يأتي ذكره في عشرات المواضع من عدد « الاداب » الممتاز ، سواء في الادب ام في السياسة .

فلنسر بعض الطريق مع الاخ الدكتور عبدالله عبدالدائم في بحثه عن (ثورية القومية العربية) واخشى الخشية كلها ان لا نستطيع مسارته في اكثر من فكرة ...

يقدم الدكتور عبدالله بين يدي بحثه بضمعة تعاريف : فالفكرة المحافظة هي ثورية مقلوبة ، والرجمية هي الاعتقاد بان الطبيعة الانسانية واحدة غير متغيرة ، والرجمي هو رجل الاشياء المحدودة ، والتقدمية هي استسلام كامل لجرى التاريخ دون هدف ، والتقدمي هو المتحرر من اي تثبيت والؤمن بلادرية مطلقة بالنسبة الى المستقبل .. والاصلاحي ثوري يدعو الى مستقبل معين عن طريق التطور .

لا اظن ، يا اخي عبدالله ، ان في الدنيا كلها انسانا يؤمن بضرورة او بإمكان العودة الى الماضي كاملا .. سل اشد الرجعيين عراقفة في الرجمية هل في امنيته او يمكنه ان يعود العرب في القتال الى وسائل الصحابة من المسلمين واساليبهم ؟ هل الرجعيون بالذات يرغبون في سكنى الخيام ومنازل التراب ، وهل يجرح عقيدتهم انشاء المعامل واقامة المدن واختراع الآلات ، مما لم يعرفه الاقدمون ؟

والرجعيون - او على الاصح من عرفوا بالرجعيين على كره منهم - لا يؤمنون بطبيعة انسانية واحدة غير متغيرة ، بل يفرقون بين الجواهر الثابتة والاعراض الزائلة حتى في صور النفس . ولا مطلب لهم الا الحفاظ على جملة مثل روحية واتجاهات خلقية يعتقدونها عناصر اذلية في النفوس وفي الحضارات ، كالشجاعة والاستقامة والعدل والامانة وعبادة اله واحد والتمسك بشعائر دينية معينة . وهم يتقبلون التحديد ضمن هذه التخوم .

ويطلب على ظني ان الاخ عبدالله فد رأى الحدود المتطرفة ، ولذا فان تعريفه للتقدمي لا ينطبق ايضا على زمرة معروفة من البشر .. ، ان التقدمي لا يستسلم لجرى التاريخ دون خطة معينة وهدف واضح

بل هو لا يستسلم لمسير التاريخ اكثر مما يحاول تغيير ذلك المسير . وهو كالثوري والاصلاحي يعتقد ان الحياة ديمومة وضرورة في آن واحد والحضارة هي استمرار لا تكرار ، والتاريخ هو اتمام لا اعادة . وفي جميع الاحوال لا بد من البدء بالماضي لبناء الاتي على مثال جديد . ولا يشك التقدمي بان المستقبل خير من الحاضر ، وهو يتصور اهداف ذلك المستقبل ويثق به . انه متفائل فاعل فلا يصح ان تسبب اليه الاستسلام في اي شيء . وهكذا فان الفروق تتضائل اذا اعدناها الى اطرافها الحقيقي . المحافظ والرجمي يلتزمان الماضي في قيمه الروحية فقط ، والتقدمي والثوري يلتقيان في تفتح الذهن للمفيد من الجديد دون تفرق بين المادي والمعنوي . التقدمي قد يؤثر ان يراعى دستور التطور ، والثوري يريد تسريع الزمن قد يؤثر ان يراعى دستور التطور ، الاقل - اصلاح الحاضر اما بالرجوع الى صفاء الماضي او باقتباس الصالح من الجديد .. وفي تاريخنا مصلحون سلفيون ومصلحون تقدميون .

ولا شك ان بين جميع هذه الاصناف المذهبية تباينا في المواقف النفسية والعقلية ، ولكن التصلب في هذه المواقف يشتد عندما تنتظم الماهيم في عصبية حزبية غايتها الحكم السياسي اولا وقبل كل شيء ..

واذا نزهنا القومية العربية التنامية عن انواع الحزبية - في مرحلة البناء على الاقل - فان التقريب بين المواقف يصبح اقل عسرا . والجمهورية العربية المتحدة قد حققت هذا الانسجام .

والاستاذ اورخان ميسر في مقال (الثورة تحت المجهر) ينتهي الى

هتلر حي !

هل عاد هتلر الى الظهور ؟ هل دعواته هم الذين يشنون الحملة اللاسامية الجديدة في العالم على اليهود ؟ اقرا « هتلر حي ؟ » يكشف لك عن طريقة اختفاء زعيم النازية عن مسرح المانيا بعد سقوط برلين بأيدي الحلفاء سنة ١٩٤٥ .

« هتلر حي ؟ » اطرف مانشر حتى الان من اسرار الحرب العالمية الثانية .

اصلرته « دار المكشوف » ، بيروت

هي في نظر كاتب المقال وجوه المشكلة في (سيكولوجيا الذهن الشرفي) . .
والاستاذ الكاتب لا بد موقن بالحقيقة التالية : لو قام الاسلام على
رفض العدل لقبر في مهده ، ولو فهم المسلمون الاولون دعوة محمد
على انها دعوة استسلام لما غالبوا البيزنطيين والفرس ونهضوا بحضارة
مادية وفكرية واجتماعية يحق لنا ، بل يجب علينا ، الاعتزاز بها وتمثلها
ورفدها بنسخ جديد .

تخصى التاريخ

في مقالها (ادبنا الثوري واثوبف الحضاري) اثبتت الاديسة
الفاضله سلمى اخضراء الجيوسى التلازم الطبيعي بين الاصاله والابداع،
وبذلك حملت عنا جهد البحث عن معايير فنية تصلح للحكم على النتاج
افصصي العروض في عدد (الاداب) الاخير . والقصص الخمس التي
سنعرض لها ترسم صفحات نابضة من معركتنا القومية ، رآها كل كاتب
من شرفته الحاصة ، وتخبر لها اللون الفني الذي يناسبها . هي كلها
تهدف الى اثاره نفوسنا من اجل غرض نبيل . انها فصول من عقيدة
القتال التي تتمر ارواحنا . وهي كلها صحيحة الارتباط بالاجواء
الساخنة التي نعيشها وبالمشكلات التي يتحسس بها كياننا ، فلا اصطناع
ولا زيف ولا نقل ولا افحام . . تتماثل جميعها في الاصاله وتتجارى في
الابداع .

قصة (الخائن) للدكتور عبد السلام العجيلي بسيطة ، ضخمة
في بساطتها : محكمة (مهداوية) - خرساء هذه المرة - تستمع الى
ضابط شاب يعترف بالخيانة ، خيانتة للشعب - أي للحسب
اشيوعي - . .

وانعقدة في القصة اكثر من طبيعية : كان لذلك الضابط خطيبة
من الحزب اياه . . فاستجاب لدعوة الضمير وعصى جواذب العاطفة .
وليس في كل ذلك مسحة من فخامة (كورنييلية) ، وانما تسير القصة
تماما كما تسير الحياة . ويحبس الفارئ انفاسه على روعة وحماسة
انسانية . والى هذا كله فن متمكن في تصوير المشاهد والامزجة
والحركات : المرأة في ساعات اغرائها ، والسكري تحت بزته ، والسحل
والذبح ودسائس السرايب الشعبية ومناورات رجال الحكم . .
والبراعة انك لا تحس بالموعظة الفجة ، ولا يخيل اليك لحظة واحدة
انك تقرأ صحيفة سياسية .

يشكو سينمائيو بلادنا ان الجماهير العربية لا تقبل على الافلام
الجادة . فليجربوا هذه القصة ، وانا زعيم بانها ستجذب الجماهير جذبا.
ومأساة العراق يقصها ايضا الاستاذ مطاع صفدي على نحو اخر :
سلمى ومجيد وحسين وفيصل وعبد القادر وعاكف . . رموز للالاف
من شباننا الجامعي ، نماذج من الجيل العربي الصاعد ، في توثبه للقاء
واصلائه للممركة ، معركة المنطق العربي . ابناء هذا الجيل حملت بهم
امهاتهم في جو محموم ، وولدوا على مقربة من ساحات القتال . سمعت
آذانهم اول ما سمعت أزيز الرصاص ، رصاص المستعمرين وهم يحتلون
ارضنا الطيبة بعد الحرب العالمية الاولى . واستمر الازيز يخرق اذانهم
كل يوم ، الى اليوم . سلمى ومجيد وحسين وفيصل وعبد القادر
وعاكف وعشرات الالوف من الالاف من الالاف ، عاشوا على اعصابهم في
المدرسة الابتدائية والثانوية وفي الجامعة : مظاهرات واضرابات ثم
رصاص وسجون .

ومن الجامعة يستقبلهم الاستاذ مطاع . يستلمهم وقد اكتملت جدونهم
- التتمة على الصفحة ٦٨ -

ان الثورة هي استعجال المراحل في التطور الانساني . وليس في ذلك
من شك بشكل عام . ولكن ثورة (فرانكو) في اسبانيا كانت ردة فعل
على استعجال المراحل . . ليس كذلك ؟ واكثر الثورات في تاريخنا
العربي الوسيط - تلك التي ندعوها بالفتن - لا تحمل مغزى الدفق
الحياتي المنهمر نحو هدف انساني مشخص . وهكذا فانه لمن الصعب
على المجهر ان يكشف عن بنية الثورة بمعناها المتجرد عن الزمان والمكان
والانسان . . .

ولنتقل الان الى (ثورة) الاستاذ محيي الدين محمد على (الفكر
العربي المعاصر) . . . والحق ان الدكتور سهيل قد برهن على عمق ايمانه
بحرية الفكر حين نشر هذا المقال . اريد ان اقول باخلاص حار للاستاذ
محيي الدين اني لا اعتقد بوجود شيء عام شامل يمكن ان يطلق عليه
مدلول (سيكولوجيا اذهن الشرفي) ، واود باخلاص حار ايضا ان اف
على تعريف جامع مانع لما يسمونه الشرفي والشرفي . . وقد كتبت اكثر
من مرة انه لا وجود لشرق مطلق او لغرب مطلق في عرف الجغرافيين
والمؤرخين وعلماء الاجتماع على السواء .

بعد هذه الملاحظة المبدئية ، ليسمح لي السيد محيي الدين ان اوضح
اراءه بعض الشيء ، فلا اشك في انه تصدى لنقد الواقع وحده ولم
يقصد المساس بالباديء . ولعلي غير واهم اذا تفهمت اقواله على انها
وصف لجماعات عربية معينة لم تع الدعوة الاسلامية على حقيقتها
فانسأقت الى انحرفات عن الدين مصدرها تراكم الجهل بذلك الدين .
نفسية المذلة ، القبول بانظلم ، الرضى والتسليم بما كتبه الله ،
اطاعة اولي الامر ، رفض العدالة لان الدين يؤكد على وجود الطبقات . .

صدر حديثا

| | |
|-----|--------------------------------|
| ٧٥٠ | تاريخ ولاية مصر للكندي |
| ٥٠٠ | مشارك انوار القلوب لابن الدباغ |
| ٦٠٠ | رحلة ابن جبير |
| ٣٥٠ | ديوان الخنساء |
| ٥٠٠ | رحلة ابن بطوطة |
| ٥٠٠ | ديوان ابن حمد يس الصقلي |
| ٣٠٠ | دروب ميخائيل نعيمة |
| ٤٠٠ | القومية العربية |

الناشر : دار بيروت - دار صادر

قرأت العدد الماضي من الآداب

– تتمة المنشور على الصفحة { –

وتبلورت في نفوسهم مسؤوليتهم .

يصفهم وهم يجمعون التواقيع من زملائهم لذحتجاج على تعذيب جميلة ابو حيرد . يصفهم وهم يحاربون نوري السعيد ويسكنون سجونهم الكثيرة .. ثم يصفهم بعد الطوفان وهم يعبدون الالهة الجديدة . ويصفهم اخيرا وقد اصبحوا فرانس تهرسهم اضراس اولئك الالهة .. وفي كل ذلك لا يخرج الاستاذ مطاع عن الواقعية المرآة على النظرة التحليلية .

ولكن الاستاذ مطاع ليس واقفيا فحسب .. بل هو وجودي كل الوجودي ، وهو رمزي ومثالي بمعنى ما ، وهو فوق هذا صاحب فلسفة لا يزهده في التعميق ولا تفوته الخلجات المختبئة تحت الستار السابع .. اصالة مطاع صفدي ، تلك هي اتلامها العميقة ، زهي في الحق اصالة اصيلة .

اني من المتذوقين لشطحات مؤلف (الاكلون لحومهم) ، وبكفي اشك في انه يكتب للجماهير . وسيظل قصاص النخبة الصبورة على مناعب الفلسفة .. وهو بذلك يحتفظ للادب بعرضه الاستقرائي ..

اللوحه التالية من قصة (سلمى) ناصعة تسمو فوق الروعة :

«.. ان هذا الانسان الضخم ، كصخرة مكدسة منذ الازل الى جانبي، يتن من ثقب في صميمه ، كما تن الصخرة من فجوة ينبوع ، تعجب لمائه القليل كيف استطاع ان يحطم جمودها ويثقب معدنها .. ولكن حتى هذا ينبوع قد جف ، وبقي قناة صماء مظلمة تصفر فيها الريح بدون جدوى » .

ولكن الخاطرة المتفلسفة اذا جرت على لسان المتخاطبين قد تصدق المصابين بدوار الاعماق . مثال ذلك : « لو تدري يا حسين .. ان احدا من جيلنا الموحش لا يعذبه وجوده بقدر ما يعذبه عدمه ، عدمه الازرق في صميمه ، ولهذا فلن تنضب طاقة ، العدم لا يفرغ ابدا .. » قصة (سلمى) تبقى – وستبقى في تراثنا حتما – نموذجا لنوع من الآداب ، ليس هو ادب المتعة السهلة ، وليس هو ادب الشعب ، وانما هو ادب الفلاسفة من الآداب ، والآداب من الفلاسفة .. الملتزمين منهم بمسؤوليات قومية واجتماعية . فعلى الذين يبنفون من الآداب خدر التفكير ان ينصرفوا عن قراءة مطاع صفدي .

والقصة الثالثة : (الموت والكلمة) للسيدة الادبية عايدة مطرجي ادريس ، لم افرأها .. وانما احسست احساسا ماديا انني شهدتها بالفعل ..

كنت معها الى جانب زوجها وهو يكتب على المنضدة ، وكنت معها حين اندلعت الثورة ودوى الرصاص ، وكنت معها وهي تحنو على طفلتها وتحوطها بذراعيها المشفقين . مثال اخاذ للواقعية الفذة .

ولكن القصة ، على بساطتها الرائعة ، تدور حول مشكلة انسانية منتزعة من اعماق الاعماق ، وهي حدود التصحية لدى ارباب الفكر والقلم : هل من شأنهم النزول الى معترك المعركة وحمل السلاح على كواهلهم الواهنة ، وتعريض قدراتهم للموت البليد ؟

صاحبة القصة لا تتحدث حديث القلب ، كزوجة محبة وكام

عطوف . وانما تترك الحكم لمقلها الواعي ، فيهديها الى ان الفكر الصق بالمسؤولية الاجتماعية من الدهماء ، وينبغي ان تكون تصحيته اغلى ثمننا ... انها في الكلمة الملزمة التي يقولها – ويجب ان يقولها – ويحرك بها الواف السواعد المقاتلة .

ان الكلمة التزام قد ينتهي بالموت على وتد او بالسجن الطويل على اهون احتمال ، ومع ذلك يبقى الفنان والكاتب والعالم ، يقسى جميع هؤلاء ممزقين بين ضرورة التصحية بحياة الالوف واثرة الاكتفاء بالكلمة .. وقد اشار الى شيء من هذا الحرج الاستاذ طارق شريف في مقاله (مواقف ازاء التصحية) .

على ان المشكلة يمكن ان تطرح على صعيد اخر : هل من حق الآداب، والمفكرين عامة ، ان ينخرطوا في العمل السياسي المباشر ؟ الا يجنسي ذلك على الآداب والفكر من حيث لا تستفيد السياسة شيئا يذكر ؟! هذا رأي الكثيرين من الناس . وتجربة اندره شينيه وشاتوبريان وهوغو ولامارتين تجربة غير مشجعة ..

الموضوع لا يزال بحاجة الى بحث .

في قصة (خبز الفداء) ، للادبية سميرة عزام ، حب بين سعاد ورامز يد في حرم البطولة القومية . وعاطفة الحب متوافرة ايضا في القصص التي عرضناها لها ، ولا نجد في ذلك اي افتعال .

ومدار القصة هنا البطولات الصامتة في نكبة فلسطين : رامز ، من الحرس القومي، يدرّب المطوعين في النهار ويسهر على جرحى الجهاد في الليل . وسعاد متبرعة للتمريض في مشفى المجاهدين وتقوم عند الضرورة بتوزيع الزاد على المحاربين . ويتم اللقاء المحتوم ويبرعم الحب العف .

والصدفة الحلوة ليست هنا ..؟ كانت فتيات المدينة قد نسجن قمصانا صوفية لرجال المعركة ، وكان في جيب كل قميص بطاقة تحمل اسم الفتاة المتبرعة وعبارة مشجعة . وسعاد وهي كتبت في بطاقتها: ارجو ان تكون – اي الهدية – من نصيب بطل ؟ فكانت من نصيب رامز . صدفة حلوة ، ومحملة الوقوع جدا في مدينة عكا الصغيرة .

تلك البطاقة السحرية اهابت برامز ان يكون بطلا حقا قبل ان يعرف سعاد ؟ ثم كان بعد الحب بطلا مزدوجا . وتحل النكبة ، وتقتل سعاد ملنفة بعبائها المثقلة بالزاد ، ويكفي رامز وراء الناريين بكاء مرا ، ويمسح عينيه الفارقتين بكم القميص الصوفي، ذلك المقدس ، ثم يتحامل على نفسه ويفتح العرة التي حملتها الحبيبة ، ويقدم لرفاقه خبز الفداء وهو ينشج : كلوا .. ان سعاد لا ترضى لنا ان نموت جوعا .

صناع اصيلة ، تحسن تحريك الاشباح وارهاف الارواح ، تلك اليد التي كتبت (خبز الفداء) .

ومن بغداد وبيروت وعكا يحملنا قدر النضال العربي الى الجزائر . هنالك نجد (قدور) ساجيا في ظل زيتونة شمطاء ، وهو يسلم الروح بعد ان صرع الكثير من ثيران باريس القذرة ..

وقدور ، في قصة (وعلى السفوح غرسناه) للاستاذ احمد سويد، يعيدنا الى مشكلة المثقفين الذين يخوضون معركة القومية العربية بالسلاح حين يوقنون في ظروف معينة ان السلاح انفع من القلم .

ان قدور ، خريج الصوريون ، كان جنديا عاديا في جيش التحرير، وقد لوع الفرنسيين في موائلهم . صلبوا امه – ويل للخنازير ! – دون مرحمة ، وانتقم لروحها الطهور ، ومات دامع العين لان حرب التحرير لم تنته بعد ..

الدكتور عبد القادر القط ليضمها الى نماذجه عن تفاعيل الشعير الجديد . والاستاذ عبد الباسط الصوفي صانع ماهر ، ليعالج الامعان الماس والذهب والفضة ، وهي معادن ثمينة حقا الا انها في غير متناول ابناء الشعب .. وقصيدته « الحقد والفولاذ » تقطع الفولاذ .. اما قصيدة « الجرح الخالد » للاستاذ عبد القادر النعماني فالواضح ان تراكيبها تنوء بمعانيها .. بينما الاستاذ حسن النجمي قد استطاع ان يوازن بين الحامل والمحمول في « قصيدة الى الفجر » .

وفي « بعث جديد » للاستاذ محمد عمران تصوير مفتول العضلات للوثة السمراء ... اما الاستاذ خليل الخوري فصلاته ليلة الميلاد « الى جميلة القضية » سيتقبلها الله في واسع عرشه بابتسامة رضى حزينة كما تقبلها القارىء في خشوع ..

واجد « اغنية من بور سعيد » للاستاذ حسن فتح الباب دون ملحمة بور سعيد الفخمة .. ولا بد ان اخص قصيدة « الكلمة والشورة » للاستاذ فضل الامين بمصافحة يد حارة ، وان اهنى الاستاذ كامل ابوب على الحركة التوثية والعصب انابض في قصيدة « الجندي الاخير » . وقصيدة « الزنجي العجوز » للاستاذ محيي الدين فارس بيضاء ناصعة، هل هزت نفسي لانتزامها الوزن الذي ارتاح اليه؟ ابدا ، وانما لانسانيتها المفجعة . و « الموت الجديد » للاستاذ حساني عبد الملك صورة ساخنة معبرة للتمدين الفرنسي .. التمدين بالدم . وفي « احلام الشهداء » للاستاذ عبد المنعم عواد يوسف تصوير تاريخي صادق لاحقادنا واحلامنا .

كلمة الى الاستاذ محيي الدين صبحي

قلت لك اكثر من مرة في حرم جامعة دمشق انك ستكون - بسبل اصبحت - اديبا موقفا ، ولكنك لن تكون ابدا مدرسا ناجحا ...؟ وقد اقلقتني صرختك « ودعا ايها الادب » لانك قلبت المفاهيم ... اصبر ياخي . ان مهمة التدريس تجربة حياتية مفيدة كتجربة الرعي للانباء ...؟ وما ضر مطاع صفدي ، الدائب في الخلق الرائع ، ان يكون مدرسا ...

والادب ، بعد ، هو في النوع قبل كل شيء . ولئن لم تنح لك متاعبك المهنية الا القليل القليل من الوقت لتصرفه في الادب المحض ، فاصرفه ونيدا في اثر او اثرين يكتب لهما الخلود . خذ الاسوة من « سويت » في اسفار غوليفر ، و « دانييل دوفو » في روبنسون كروزويه ، و«ملتون» في الفردوس المفقود و « بوكاشيو » في الايام العشرة ، و « اريوست » في رولان الفاضب و « لوتاسو » في تحرير القدس ، و لافونتين وفلوبير ومونتسكيو ، ومئات ومئات غيرهم من العمالقة المقلين ...

عزة النص

دمشق

طبعت على مطابع :

دَارُ الْفَنَدِ لِلطِّبَاعَةِ وَالنَّشْرِ

تلفون ٢٢٩٢١

بطلة القصة ، في رأيي ، هي ام قدور ، بكلماتها القليلة القليلة التي قذفت بها في وجه جنود المظلات العتاة . واللبوة لا تلد الا اسدا . والقصة كلها مشهد خاطف عميق التأثير من اروغ كفاح نهدت له الامة العربية في تاريخها كله .

ولعل ما يسمونه (التشويه المهني) هو الدافع لي ابداء الملاحظة التالية : اعرف كجغرافي ان (كولون بشار او كولومب بيشار) تبعد نحو من ١٠٠ كم عن خط موريس المكهرب في غربي تونس . والحديث في مستهل القصة كان يدور حول خط موريس . ولقد يتوهم القاريء ان قدور وجماعته متمركزون على السفوح هنالك .. ثم تحدث المعركة فجأة في (كولون بشار) على حدود مملكة المغرب ..

ثوار الشعر

هنا ايضا استمد عناصر الحكم من مقال تحليلي في عدد (الاداب) للادبية ملك عبد العزيز : الشعر الثوري في الادب المعاصر . هنالك الشعر الثوري المباشر الذي يهجم على الموضوع مواجهة ، مرتكزا الى الالفاظ والتعابير والصور ، المهبة للمشاعر ، وهنالك الشعر الثوري القصصي ، العتمد على حادثة او حوادث يرويها على نحو مؤثر، ليصل ايضا الى استثارة النغمة والحماسة في النفوس . واحسب ان الاسلوب الثاني اطول نفسا وابعد مدى واسس قيادا بالنسبة الى الشاعر بالذات .. وقصائد هذا العدد من (الاداب) يقبل عليها النوع الثاني .

ويبدو ان رواد الشعر الحر قد ثبتوا اقدمهم في (الاداب) .. حتى اصبحت منتجعهم الخاص . ولولا الشاعر الضخم سليمان العيسى لخلنا ان « الاداب » تتهرم بالقدمي وتلتزم جانب الحديثين .. ومهما يكن من امر ، فان سليمان العيسى حجة على من يرون في عمود الشعر المألوف حجرا على الفكرة الدافقة ، وحسبا للنبوع المتفجر . انه يعلو بالشعر القديم الى سموات فوق السموات ، ويطوف دون لهث في كل الافاق ..

وفي قصيدة (صيحة الرواد) يرسم سليمان العيسى نفسه راهبا للقفضة العربية الكبرى :

ماذا تريد سماء الوحي من وتر
ماذا ؟ اسوستة في الحقل ضاحكة
اباقة من شعاع الشمس غاربة
اهمسة من شفاه الحب عابثة
كفرت بالحقل يؤوي غير زارعه
كفرت بالحب ان ينشر غلالته
كفرت بالشمس ان تشرق على بلدي

وفوق صدري تاريخ الاسي جثما
أصوغ أنداءها للمجتلي كلما ؟
اذيب فيها فراغ الروح والساما؟
أقصها فاغذي الجيل منهزما ؟
ويحمل الجرح ، لاشكوى ، ولا برما
على حبيبين حام النل فوقهما
الا لتلثم ارضا مرة وسما ..

هل اعطوه فوق حقه من سموه شاعر القومية العربية ؟ وارجع مرة اخرى الى « القديسة » .. لاهمس في اذن الاستاذ نزار القباني : متى كنت تصطاد الذباب ؟ هل تصدقك يا كاذب الكاذبين ؟! ..

وبعد ، لايسعني الا التقاط « العينات » من محصول « الاداب » الشعري .. فهو وافر نمر : قصيدة الاستاذ عدنان الراوي « شهيد » نعم علوي يصلح لان يكون نشيد الانشاد في ثورة العراق العتيدة . وقصيدة « اغنية عربية » للاستاذ شفيق لكماري نلتف اليها نظر صديفنا